قراءة تحليلية في الصورة الذهنية للمجتمع الجزائري من خلال الإعلام على ضوء الأحداث الراهنة.

Analytical review of the mental image for Algerian society via media nowadays.

سمير رحماني

جامعة باتنة 1، الجزائر، samirrahmani90@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/03/06 **تاريخ القبول:** 2020/03/25 **تاريخ النشر:** 2020/07/01

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على الصورة الذهنية للمجتمع الجزائري، على ضوء الأحداث الأخيرة، والتي نقصد بها، المسيرات السلمية للجزائريين منذ فيفري 2019، وطريقة تغطيتها عبر مختلف وسائل الإعلام، سواء كانت تقليدية، أو جديدة، حيث أن الصورة السلبية التي لازمت الجزائريين منذ فترة التسعينات من القرن الماضي، بفعل الأحداث الأمنية، ومما صاحبه من كيفية تغطية وسائل الإعلام العالمية لتلك الأحداث، افترضنا أنها يمكن أن تبدأ في التغيير بفعل ما أظهرته وسائل الإعلام من وعي، وسلمية، وحضارية، للمجتمع الجزائري منذ بداية هذا التظاهرات.

الكلمات المفتاحية: *الصورة الذهنية؛ المجتمع الجزائري؛ الأحداث الراهنة؛ الاعلام.*

Abstract:

The aim of this article is to hightlight the mental image of the algerian sociaty on the recent events which means peacefull protestation during februry 2019 ;this image has inspired the international broadcasters who thoght that algerian protestation is too agressive and blooded as it was in many years ago ;the mental image changes of the algerian socaity on media tools ;will influence on the audience in general which contribute in all fields.

Keywords: *mental image; algerian sociaty; recent events; media.*

* المؤلف المرسل: سمير رحماني. samirrahmani90@yahoo.fr

مقدمة:

لقد أصبح موضوع الصورة الذهنية اليوم، تخصصا قائما بذاته في الجامعات الغربية، وأضحت المنظمات والدول والمؤسسات مهتمة بصورتها لدى الجمهور، نظرا لما لها من أهمية بالغة في تحقيق أهداف هذه الجهات، حيث تسعى هذه الأخيرة إلى تسويق صورة طيبة عنها لدى جماهيرها باستغلال مختلف الأساليب والوسائل، لتجعل من نفسها مقبولة لدى الأخر، وهذا الأمر يتيح لها تحقيق أهدافها المعلنة والمضمرة على حد سواء، ومجمل هذه الأهداف يتلخص في تسويق أفكارها ومعتقداتها، وإيديولوجياتها، فضلا عن قيمها وثقافتها وكذا سلعها وخدماتها إن كانت اقتصادية، وصورة الشعوب والدول أيضا تعتبر مهمة في تسويق أهدافها وقيمها، لذا فهي تسعى لاستغلال مختلف الأحداث لتحسين صورتها دوما، وهذا ما يمكن ان يستغل في الجزائر عقب الحراك السلمي والحضري للمجتمع.

1- الصورة الذهنية:

تعددت التعاريف الخاصة بالصورة الذهنية عند العلماء انطلاقا من اختلاف توجهاتهم في تصور معان هذا المفهوم، فقد وردت في المعجم الفلسفي **"لجميل صليبا"** تعريفات نذكر منها:(صليبا 1994، ص. 58) "الصورة في اللغة هي الشكل والصفة والنوع"، وهذا ما ورد في **"لسان العرب"** لابن منظور ولها عدة معاني من **قبيل:**

- ✓ الصورة هي الشكل الهندسي المؤلف من الأبعاد التي تتخذ بها نهايات الجسم
- ✓ وهي الصفة التي يكون عليها الشيء، كما تطلق على المعاني المجردة، أو ما يرسمه المصور بالقلم أو آلة التصوير أو ارتسام خيال الشيء في المرأة.

وما نلاحظه على هذه المعاني للصورة الذهنية، هو ارتباطها أكثر بالشكل المادي، بالرغم من الإشارة إلى المعاني المجردة.

أما في اصطلاح الصورة الذهنية فيرى **"بيلدينغ"** في كتابه الرائد "الصورة" أنها تتكون من تفاعل معرفة الإنسان بعدة عوامل منها: المكان، الموقع، العلاقات الشخصية، روابط الأسرة....(عجوة 1999، ص .9)

ولاشك أن معنى الصورة الذهنية حسب هذا التعريف يرتبط بالتجربة الشخصية التي يعيشها الإنسان مع محيطه، الذي غالبا ما يكون الملهم للفرد، بمختلف الانطباعات والصور التي تتشكل لديه.

أما قاموس "ويبستر" في طبعته الثانية، فيقول: (عجوة 1999،ص.10) "الصورة الذهنية هي مفهوم عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة، يشير إلى اتجاهاتها نحو شخص، أو طبقة أو فلسفة، أو قومية، أي الصورة التي ترسم للآخر".

وبهذا المعنى فان الصورة الذهنية تتجه أكثر إلى الجوانب العقلية والإدراكية للفرد من خلال ما يعيشه من تجارب شخصية، وجماعية، في المحيط الذي ينتمي إليه، وبذلك فان نظرته للأشياء، والأحداث لا تكون إلا وفق تجارب سابقة، غير أنها في أحيان أخرى قد تكون غير موافقة للمواقع، وإنما هي محض تخيلات. (PEARSON .2013)

ووفق هذا المعنى يرى **"ناييرشاندو"NAIR CHANDO** أن الصورة الذهنية نوعان: صورة مستندة على التجربة، وصورة مستندة على ما يقوله الناس. (ال تويم 2019)غير أن الإشكال كله يكمن في التجربة، وما

يقوله الناس، حيث انه إذا كان في السابق غالبا ما يكتسب الإنسان معارفه وتجاربه، من مختلف المؤسسات التقليدية التي تعنى بالتنشئة الاجتماعية، مثل الآسرة، المدرسة، الأصدقاء...، وهم نفسهم من يقول لنا آو يفسر لنا الأشياء، وهذا الواقع موجود ليومنا هذا، غير أن عناصر جديدة دخلت بشكل غير مسبوق لمنافسة، المؤسسات التقليدية لتنشئة الفرد، هنا نقصد وسائل الإعلام بالدرجة الأولى، حيث أصبح لها إسهام مباشر في صياغة مدركاتنا، وخيالنا وتصورنا للأشياء.

وبهذا المعنى يمكن تحديد مفهوم للصورة الذهنية بالشكل التالي: هي مجموع الانطباعات والمدركات الذهنية، التي تنطبع لدى جمهور وسائل الاتصال الجماهيرية، وذلك من خلال ما يبث وينشر عبر هذه الوسائل، من برامج ومواد، وسلع إعلامية، بحيث تصبح هذه الانطباعات خلفية معرفية واضحة لأي تصرف، آو سلوك يقوم به الفرد في المجتمع".

إذ يتضح لنا مما سبق بان الصورة الذهنية، تتشكل لدينا من خلال ما نعيشه من تجارب مع محيطنا الاجتماعي، وما نتعرض له من برامج في مختلف وسائل الأعلام، سواء كانت تقليدية، كالإذاعة، والصحافة، والتلفزيون...أو جديدة مرتبطة بالشبكات الاجتماعية آو الشبكة العنكبوتية بشكل عام.

ولا شك ان التجارب الشخصية، تشمل المواقف والأحداث التي نعيشها خاصة، إذا حضت بتغطية إعلامية.

2- تأثير الأحداث في تشكيل الصورة الذهنية:

يتفق العلماء والباحثون أن الصورة الذهنية لدى الأفراد لا تتشكل من تلقاء نفسها، وإنما هي خلاصة أحداث، وعوامل أخرى، فالصورة آو القوالب، الذهنية حسبهم يجب أن لا ينظر إليها كأشياء تتسبب بنفسها آو الأحداث بذاتها، بل يجب النظر إليها كأعراض لأسباب خارجية أخرى.(خضور 2009، ص.15)

وما يراد منه أن الصورة، آو المعنى الذهني يتكون لدينا نتيجة، لأحداث خارجية، او مؤثرات محيطة بنا، تماما كما يحدث من خلال الرسائل الإعلامية التي نستقبلها من خلال القنوات، والوسائل التي نتعرض لها يوميا، وغالبا ما تكون التراكمات المستمرة لهذه الرسائل، هي المصدر الأساسي للمعاني الموجودة في أذهاننا ونتصرف انطلاقا من مضامينها.

فصورة الأمم مثلا – أي الصورة التي تكونها امة عن أخرى – ليست حاصل توحيد أو تجميع صورة الأمم التي يمتلكها كل فرد من أفراد هذه الأمة عن امة أخرى، فتحديد الصورة داخل الأمة تمر عبر فترة تطال الأجيال، وليست بالضرورة أن تكون متطابقة، إنما حقيقتها تبنى على أساس المصلحة والتجارب المختلفة للأفراد.(مسلم 1985 ، ص.18)

غير أن الإعلام بشتى وسائله يمكن أن يكون العامل الحاسم في توحيد هذه الصور بين الأفراد، وجعلها متوافقة مع توجهه، حسب الإيديولوجية والمصلحة. فمثلا نجد الصورة الذهنية المتشكلة لدى الأمريكيين عن العرب والمسلمين ترتبط بمعاني، القسوة، والوحشية والعنف، قتل الإخوة والاخوات، التعطش للدماء، الغدر، الخيانة،... وذلك راجع لتراثهم الادبي والإعلامي.(سليمان 2000، ص.25)

ووسائل الإعلام تمارس مهامها، وفق صورة معينة، غالبا ما تتفق مع أهداف ومصالح ممولها، بعيدا عن المهنية والاحترافية، وهي تؤثر في تشكيل اتجاهاتنا وميولنا، وسلوكياتنا، وفي مقدار ما يشعر به البعض من التعصب، آو الحب اتجاه الأفراد آو الدول، وتقوم وسائل الاعلام بدور رئيسي في تكوين المذاهب، والقيم والمعايير الاجتماعية، ذلك أن تصورنا للناس والأشياء، رهن بالمعلومات التي وصلتنا من وسائل الإعلام (عبد الفتاح 2013، ص.13)

ولا شك أن وسائل الإعلام في تغطيتها للأحداث المختلفة، لا يمكن أن تغير تلك الأحداث، بصفة مطلقة، فنسبة التحريف، انما تكمن في توجيه الفهم، والتفسير لتلك الأحداث، وإلا وقوع الحدث نفسه يبقى كما هو، ولذلك يظهر لنا الدور الأبرز للأحداث أيضا في صناعة وتشكيل الصور الذهنية لدينا، فمثلا لا يختلف اثنان على أن ثورة التحرير الجزائرية، كحدث تاريخي ساهمت بشكل فعال في رسم صورة ايجابية عن المجتمع الجزائري في تضحيته في سبيل قضيته التحررية، وذلك رغم تغطية الإعلام الفرنسي لهذه الحرب على أساس أن المجاهدين، خارجون عن القانون، أو قطاع طرق...، آو مختلف الأوصاف السلبية الأخرى.

لذلك يتضح لنا ان الأحداث مساهم أساسي في تشكيل الصورة الذهنية، عن الأمم والمجتمعات والقوميات، فكما كانت ثورة التحرير الجزائرية مشكله لصورة ايجابية عن المجتمع الجزائري، فان عشرية التسعينات، بما عرفته من مآسي على المجتمع الجزائري، ساهمت هي الأخرى في رسم صورة سلبية عن الأمة الجزائرية.

فالأحداث حسب طبيعتها تلعب دورا حاسما في رسم وتشكيل صورة جيدة أو سيئة، عن مجتمع آو امة ما، ووسائل الإعلام – على اختلافها- هي من يغطي هذه الأحداث ويسهم في إيصالها إلى المجتمعات والأمم الأخرى، على الرغم من اختلاف توجهاتها الأيديولوجية، وتلعب هذه الصورة دورا حاسما في إدارة الصراعات الدولية، كمفهوم الصدام الذي ظل فكرة أساسية تحكم علاقة الغرب بالمسلمين كما جاء حسب استطلاع للآراء في سبع وعشرين (27) بلدا بين نوفمبر2006 و جانفي 2007 تركزت فيه الأسئلة حول حتمية المواجهة بين المسلمين والغرب، بالرغم إن الغالبية رفضت هذا المفهوم، إلا أن عدة جماعات ايدته في بلدان مثل "ألمانيا:، نيجيريا و"اندونيسيا" (سيب 2011 ، ص. 216) وهذه النتائج تعكس بشكل واضح خطورة نتائج الصورة التي ترسخت لدى بعض المجتمعات.

3-خصائص الصورة الذهنية:

تختلف صورة الآخر عن المعرفة بهذا الأخر، وذلك لأنها خلاصة إدراك شامل لهذا الآخر، ونتاج اعتبارات وعوامل متعددة، تاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية...، وجديدة كما أنها قد تكون نتائج عمليات متعمدة ومقصودة. (خضور 2009، ص. 14) وهذا شأن وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري التي تعمل على صناعة أوضاع مختلفة و تجتهد في بناء واقع متعدد الأبعاد قصد تكوين وبناء صور بالنحو والشكل الذي تريده، وغالبا ما يكون وفقا لمصالحها وأهدافها الإيديولوجية المرتبطة بممولها وبالمعلنين فيها خصوصا.

* الصورة الذهنية تجسيد لواقع فكري معين، وللصورة مقدرة كبيرة على تقنين الفكرة وهي القالب الذي تصب ضمنه، ويحفظها من الضياع ويسهل انتشارها، وعندما تتشكل الصورة تصبح بحد ذاتها منطلقا لعمليات فكرية جديدة تضاف إلى الصورة فتبلورها.

إذ أن الحصول على الصورة المرغوبة يمكن الجهة التي حصلت عليها لدى الجمهور من تسويق كل أفكارها وآرائها ومواقفها وايديولوجياتها بسهولة، حيث أن المناخ والبيئة العامة المتشكلة لدى الجمهور بفضل هذه الصورة تسمح بزراعة كل ما تريده الجهة المستفيدة من هذا الواقع، و الشواهد على ذلك كثيرة، حيث أن نجاح بعض الوسائل الإعلامية مثلا في نيل المصداقية والثقة من طرف جماهيرها ساعدها بشكل أساسي في توجيه هذه الجماهير والرأي العام عموما، لما يخدم مصالحها وأهدافها وهذه المصداقية والثقة كانت عاملا أساسيا في انطلاق دراسات و بحوث جماهيرية، عن درجة تأثير هذه الوسائل بفضل الثقة التي تتمتع بها.

تحمل الصورة حكما قيميا، وتعكس خيارا، و تعبر عن إدراك، لذا فدراسة مضمونها وعناصرها وخصائصها، وحركتها...تظهر طبيعة الإرث الثقافي والبعد الإيديولوجي والزاد المعرفي، فحكم جمهور الوسيلة الإعلامية، أو جمهور المؤسسة أو الدولة أو الزعامة أو الحزب...، الإيجابي أو السلبي يؤثر بشكل مباشر في مكانة وقيمة هذه الوسيلة أو المؤسسة أو الدولة أو الزعامة أو الحزب... ولا يمكن أن يخرج نشاط هذه الجهات عن هذا الإطار، فالحكم القيمي الذي تبلوره الصورة الذهنية لدى الجماهير هو من يحكم على هذه الجهة أو تلك بنجاحها أو فشلها، و بمدى قدرتها على الصمود والاستمرار أو التوقف أو الموت.

تتكون الصورة الذهنية لدى الإنسان تجاه شخص أو شعب معين من ثلاث عناصر.(خضور2009، ص.14)

- ✓ مجموعة الصفات المعرفية التي يستطيع ان يدرك بها ذلك الشخص أو الشعب بطريقة عقلانية: وهي مضمون معارفه وأفكاره ومعلوماته عن هذا الشخص أو الشعب، والتي تتأثر بالمصادر المروجة لهذه المعارف والأفكار والمعلومات.
- ✓ العنصر العاطفي المتعلق بالميل لذلك الشخص أو الشعب أو النفور منه، وهو الآخر مرتبط بالبيئة الاجتماعية والثقافية ومؤسسات التنشئة، والتجارب والخبرات، وكذا من الرسائل التي تروجها وسائل الإعلام بطريقة مستمرة.
- ✓ السلوك المتمثل في مجموعة من الاستجابات العملية تجاه ذلك الشخص أو الشعب الذي يرى الفرد ملاءمتها وفقا للصفات التي أدركها في ذهنه، وهو ما تروج له وسائل الاتصال الجماهيرية التي تسعى لتحريك وتوجيه الرأي العام لهذا الاتجاه أو ذاك.

وكما أن للإنسان انطباعاته وصوره التي يكونها عن الأشياء، فإن للمجتمعات والشعوب انطباعاتها وخلفيتها وذاكرتها، التي تكون من خلالها صورا عن شعوب أخرى والفارق يكمن في المدى الزمني الذي تستغرقه الشعوب في تكوين صورها وفي تعديلها، أو تغييرها بشكل جذري، والصورة الذهنية التي يكونها مجتمع ما عن مجتمع آخر، هي نتاج أحداث وخلفيات وتراكمات عبر السنين ولعل أصدق مثال يمكن أن نسوقه في هذا الجانب وما تكون من صور ذهنية لدى العرب والمسلمين عن إسرائيل والحركة العنصرية الصهيونية، نتيجة التراكمات التاريخية والأحداث المرتبطة بغصب الأراضي وتهجير أبنائها وقتل النساء والأطفال بشكل مستمر، ومختلف الجرائم التي تقوم بها الدولة العبرية تجاه المسلمين.

إن الصورة أو القوالب الذهنية يجب أن لا ينظر لها كأشياء تتسبب بنفسها أو تحدث بذاتها، بل يجب النظر إليها كأعراض لأسباب خارجية أخرى (خضور 2009، ص. 15)

وهو ما يراد منه أن الصورة و المعنى الذهني يتكون لدينا نتيجة لأحداث خارجية أو مؤثرات محيطة بنا، تماما كما تحدثه الرسائل الإعلامية التي نستقبلها من خلال القنوات والوسائل التي نتعرض لها يوميا، وغالبا ما تكون التراكمات المستمرة لهذه الرسائل، هي المصدر الأساسي للمعاني الموجودة في أذهاننا و نتصرف انطلاقا من مضامينها.

*إن صورة الأمم، أي الصورة التي تكونها أمة عن أخرى ليست حاصل توحيد أو تجميع لصورة الأمم التي يمثلها كل فرد من أفراد هذه الأمة عن امة أخرى، و هي جزء لا يتجزأ من سلوك هذه الأمة تجاه تلك و يتم تحديد الصورة داخل الأمة عبر فترة تطال الأجيال وليس بالضرورة أن تكون الصور موحدة داخل الأمة، إنما بناءا على حقيقة المصلحة وعلى التجارب المختلفة ويمكن لهذا الجزء أو ذاك من الصور المقولبة أن يظهر بوضوح أكبر أو يبرز لدى هذه الطبقة أو تلك، أو لدى هذه الجماعة، أو لدى أخرى، وفي أبعد الاحتمالات يمكن أن توجد أيضا داخل الشعب الواحد مواقف متباينة تجاه شعب آخر. (مسلم 1985 ، ص. 18)

ويمكن أن نضرب مثالا عن ذلك هنا، بخصوص فرنسا لدى الجزائريين، فبالرغم من كل الآلام التي تعرض لها المجتمع الجزائري من المستدمر الفرنسي، فإن هناك فئة من الجزائريين الذين يرون في فرنسا منقذة لهم، وينظرون إليها بإيجابية، انطلاقا من مصالحهم الشخصية، و تجاربهم الفردية، هذه المواقف إلى جانب المواقف والصورة العامة لدى الشعب الجزائري عن وحشية وإجرام المحتل الفرنسي، فالأحداث والتجارب إضافة إلى المصالح الشخصية للأفراد وتجاربهم يمكن أن تساهم بشكل أساسي في بناء الصورة والمعنى الذهني لدى أمة عن أخرى، و يمكن آن نجد صورا ومعان ذهنية متباينة لدى الأفراد في امة ما عن أخرى.

إن المادة التي تتكون منها القوالب الذهنية تنتقل من جيل الى جيل، وقد يستوعبها الطفل قبل أن يعي معنى كلمة أمة أو شعب، ولكن طريقة مزج هذه المواد لكي تنتج في لحظة معينة صورة سارة او غير سارة، تختلف فيما يبدو باختلاف العلاقات السائدة بين حكومات الشعبين، ودرجة ثبات العلاقات بين الشعوب والحكومات هي من يحدد ثبات واستقرار المعاني الذهنية، والملاحظ هنا عندنا في الجزائر مثلا: أن الطفل بمجرد نعومة أظافره، يكون قد أدرك أن " إسرائيل" أو " اليهود" عموما هم ألد أعدائنا بالرغم من انه قد يكون غير مدرك، لخصوصية شعبه هو في مقابل ذلك القوم، ومن جهة أخرى تختلف اليوم مضامين الصور والمعاني الذهنية لدى الجزائريين عن" فرنسا" بين راض ومؤيد، ومعجب وناقم وعدو. وانطلاقا كذلك من اختلاف العلاقات الموجودة بين الحكومات المتعاقبة في الجزائر و فرنسا.

*إن الأحكام المسبقة، قوالب سلبية أو رافضة تتخذ عن شخص أو جماعة أشخاص حيث تحصل هذه الجماعة بسبب المواقف المقولبة على صفات محددة سلفا، يصعب تصحيحها صعوبة كبيرة، بسبب الجمود والعناد، والشحنات الانفعالية، حتى ولو تم التعايش مع تجربة مناهضة للحكم المسبق (خضور 2009، ص. 16)

وهذا كثيرا ما نصادفه في حياتنا اليومية، إذ أن الكثير من الأشخاص – على سبيل المثال- يأبون ويرفضون الذهاب إلى الطبيب نظرا لحكمهم المسبق أن هؤلاء الأطباء لا يمكنهم تشخيص المرض تشخيصا صحيحا بل إنهم يمكنهم أن يلحقوا الأذى بالمرضى نتيجة عدم قدرتهم على فهم الأمراض و المرض، ويتسببون دائما في وفاتهم، وهذا الحكم المسبق جعل الكثيرين خصوصا غير الواعين، يرفضون مطلقا فكرة الذهاب إلى الطبيب، وهنالك العديد من مصاديق الأحكام المسبقة المنتشرة لدى مجتمعاتنا، والتي يصعب تغييرها.

*الصورة الذهنية ليست دائمة أو ثابتة بالضرورة، بل قد تتطور وتتعدد كليا أو جزئيا بفعل عوامل ذاتية وموضوعية وبالتالي فهي مرنة، أو أنها أكثر مرونة مما يظن عادة، فصورة الإسلاميين في الجزائر مثلا، كانت مثالية لدى المجتمع الجزائري، غير أن تجربة العشرية السوداء، عدلت هذه الصورة وغيرتها بشكل كبير، إلى درجة أن المجتمع الجزائري أصبح ينبذ مايسمى: بالإسلام السياسي، وبعد مرحلة التسعينات استعاد السياسيون الإسلاميون بعض جوانب الصورة الإيجابية فأصبح البعض منهم يحضى بجزء من الشعبية، وهذا ما يعكس مرونة في تغير الصور والمعاني الذهنية، انطلاقا من معطيات ذاتية متصلة بالإنسان أو معطيات موضوعية مرتبطة بمحيطه.

4- أهمية تشكيل الصورة الجيدة:

هناك مزايا وفوائد عديدة لتكوين الصورة الجيدة يصعب حصرها من الناحية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وحتى الإيديولوجية ويمكن ذكر مجموعة نقاط من أهمها:

- ✓ إن أي جهة مهما كانت بتمكنها من تشكيل صور ذهنية جيدة عنها لدى الآخرين، فان الهدف الذي تسعى لتحقيقه سوف يتحقق مهما كانت طبيعته – أكان ماديا أو معنويا.
- ✓ كما أن قدرة هذه الجهات أو الأمم على تشكيل صورة ذهنية جيدة لدى الآخرين من شأنه، أن يجعلهم ينخرطون في تحقيق اهداف هذه الجهات، بوعي او بدونه(.la dissertation 2015). وهو ما تمكنت منه دول كبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها في بناء هذا النظام العالمي، وفق تساؤلات "جيرالد هوتر"(هوتر 2014، ص.21) التالية: عمن صاغ القوالب والنماذج لهذا العالم؟، ومن أين جاءت قناعتنا الداخلية في أن تحقيق هذه الرؤى بالضبط هو ما يستحق السعي إليه؟ وان العالم المشكل وفقا لهذا الانطباع الذهني هو العالم الوحيد الذي يستحق أن نحياه؟
- ✓ تعتبر الصورة حكما من الجمهور أو الأفراد تجاه، منتج، أو علامة، أو مؤسسة.....، وهي من يضمن لنا وفاء الأفراد تجاه الجهة أو المؤسسة، وهذا الوفاء مهم بالنسبة لصاحب الصورة في تسويق فكرته، او سلعته، أو خدمته، بحيث تلقى القبول لدى المتلقين، بناءا على وفائهم كلما كانت صورة جيدة.
- ✓ كما تعتبر الصورة الذهنية، أداة للتحكم في الآخر، وفي سلوكياته ومواقفه، فبقدر ما تكون الصورة الذهنية جيدة عن هذه الجهة او تلك يكون نفوذها المعنوي قويا لدى الآخر، وهو ما يجعل أي تصنيف من هذا الأخير لا يخرج عن التوافق مع أهدافها ومصالحها.

5- صورة مسيرات الشعب الجزائري من خلال وسائل الإعلام المختلفة:

إن أكثر ما يميز المسيرات الشعبية في الجزائر منذ شهر فيفري 2019. هو طابعها السلمي الذي لم يكن متوقعا لدى الكثيرين ، حيث أن الجزائريين أنفسهم لم يكن في حسبانهم أن التظاهرات التي خرجت ضد حكم الرئيس السابق يمكن أن تستمر بسلميتها وطابعها الحضاري، وهو ما انعكس في مختلف وسائل الإعلام المحلية والدولية.

فقد غطت قناة BBC البريطانية مثلا هذه المسيرات بقولها: (رواية 2019.) «لقد تميزت الاحتجاجات بالهدوء في غالبها، ولم تحدث مواجهات مع الشرطة، أو أعمال عنف» ونفس التوجه حذته مختلف شبكات

الأخبار العالمية، والتي ركزت باستغراب على الالتزام بالهدوء والسلمية من طرف المتظاهرين، وكذا الأجهزة الأمنية، كأمر غير مألوف بالنسبة للجزائريين، حيث تناقلت وسائل الإعلام صور توزيع الورود على أفراد الشرطة من قبل المتظاهرين، وكذا شعارات الاخوة بين الأمن و الشعب.....وغيرها.

واستغراب وسائل الإعلام العالمية يأتي بلا شك من الصورة الذهنية التي كانت تلازم الجزائريين بعد فترة التسعينات الأليمة، حيث غالبا ما ينظر للجزائريين بمعاني العنف والإرهاب، بناءا على ما وقع من أحداث وتوجيها إيديولوجيا من كثير من وسائل الإعلام آنذاك، وهي الصورة التي لاشك وصلت إلى الرأي العام العالمي بهذه الطريقة وفق المبدأ القائل بان الناس يستقون معلوماتهم بنسبة70% من وسائل الإعلام في بناء صور العالم المختلفة .(علي 2019.)

وتلك الصورة السلبية لازمت كل فرد جزائري بصورة غير محتملة ،من خلال مختلف الإجراءات التي كان يتعرض لها مثلا في المطارات الدولية، من تفتيش، وتحقيقات ورفض لمنح التأشيرات لزيارة بلدان أخرى .....، وبالعكس أيضا ساهمت التغطية الخاصة بالحراك الشعبي منذ فيفري 2019 من حيث السلمية، والانضباط، وحتى تنظيف الشوارع في إعادة رسم صورة أخرى للجزائريين، يمكن أن تبعد صفة العنف التي ظلت ملازمة لهم لفترة طويلة.

ورغم ما تلعبه شبكات الأخبار، ووكالات الأنباء العالمية ومختلف وسائل الإعلام، من دور في تغطية الأحداث وتوجيه الرأي العام، إلا أن واقع الإعلام الجديد، وشبكات التواصل الاجتماعي هي الأخرى، اضحى لها دور أساسي في تشكيل وتوجيه الرأي العام، ومن ثم بناء معان، وصناعة صور ذهنية من خلال ما ينقل وينشر عبر هذه الوسائط، والتي أصبحت مؤخرا هي المحرك الرئيس للشباب في الشارع مثل: "الفايسبوك" (المديني2011 ، ص.267)

والخلاصة أن الصورة التي تتكون في الأذهان عن طريق هذه الوسائل تشكل في النهاية "مرشحا نفسيا" تتم من خلاله رؤية الواقع وتفسيره، والحكم عليه لذلك فالصورة الذهنية تشكل مجموع السمات، والملامح التي يدركها الجمهور ويبنى على أساسها موافقته واتجاهاته. (سليمان 2005 ،ص.22).

ولو أسقطنا ذلك على ما ميز المسيرات الشعبية في الجزائر، منذ انطلاقتها فإننا نجد وسائط الإعلام المختلفة من تقليدية إلى جديدة، كانت متفقة في توجهها من حيث المضمون رغم بعض الاختلافات الهامشية، حيث ان أهداف المسيرات متوافقة مع في اغلب الوسائل الإعلامية من حيث التطلع إلى قيم الحرية، الديمقراطية، المساواة، تحسين الظروف المعيشية...، كما ان الطابع السلمي والحضاري، هو السمة الأكثر بروزا والمعنى الأكثر ترويجا، والانطباع الأكثر حظا في الأذهان، فضلا على ان الاتجاه الأخر من قبل المصالح الأمنية، شكل صورة في احترام حق التظاهر السلمي والتعامل باحترافية مع المحتجين، من خلال التأطير، وتفادي الصدامات، كون المؤسسة الأمنية الجزائرية، عانت هي الأخرى من صورة سلبية نتيجة فترة التسعينيات، وما تعرضت له من تشويه عبر مختلف الوسائل العالمية.

كل هذه المعاني من شانها أن تقدم صورة حضارية ايجابية عن الجزائر كأمة، وشعب لدى الرأي العام بشكل عام، سواء أكان محليا، أو إقليما، أو دوليا.

فعلى المستوى المحلي تعتبر الصورة الذهنية للشخص و المجتمع او المنظمة، عن نفسها عاملا في اكتسابها للثقة في نفسها، وإعادة تقييمها لذاتها، بما يتجه أكثر لمفرزات ايجابية يمكن أن توجدها عملية تشكل أو تغير الصورة.

فما قالته اغلب الصحف والشبكات الإخبارية العالمية، وكذا المواقع الالكترونية، عن الشعب الجزائري وأجهزته الأمنية على حد سواء، من معاني إيجابية ساهم في تغيير الصورة السابقة ،وهو الأمر الذي لا يزال يسهم في تعزيز ودعم الصورة الحسنة التي أظهرتها المسيرات السلمية والحضارية للجزائريين، حتى أن أ اسهام بعض الشخصيات، في تعزيز هذه الصورة، مثل الناخب الوطني "جمال بلماضي"، وكذا بعض فلاسفة العصر مثل "نعوم تشومسكي" الذي ابدى إعجابه بالتعبئة الشعبية السلمية للجزائريين، وذلك في مقابلة موجزة مع صحيفة الوطن الجزائرية في شهر مارس 2019 (الرياحي 2019.) هذا فضلا عن مشاهير الفن، والكرة، والكوميديا...، حيث أبرز أغلبهم اندهاشهم بسلمية ووعي وحضارية الشعب الجزائري.

والحقيقة أن كل هذه المعاني تتحول إلى انطباعات ذهنية مهمة بصورة ايجابية، عن المجتمع والشعب الجزائري، وهو مالا شك، ينعكس على سلوكيات وتصرفات الآخر بعد تغير الصورة الذهنية عن المجتمع الجزائري، إلى أن تعزز ذلك مؤخرا بعد فوز الفريق الجزائري لكرة القدم بالكأس الإفريقية، وكذا الصورة الحضرية للجمهور الجزائري الذي تابع مباراة بلاده الودية مع الفريق الكولومبي في مدينة "ليل" الفرنسية، وهي حقيقة محطات لتسويق معاني وصور وانطباعات ذهنية عن الجزائريين غير التي كانت سائدة في الماضي، بسبب العشرية المأسوية من ناحية الأحداث.

إن الاستثمار في المعاني، ومحاولة تعزيزها مستقبلا، بخطط وبرامج مدروسة، لصناعة الصورة يمكن أن يؤثر بشكل جيد على مختلف الأصعدة، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية....، بداية بإعادة الثقة إلى النفس التي كان يفتقدها الفرد والمجتمع، وما يمكن أن تحدثه هذه الثقة من خلال التأثير الايجابي على مستقبل البلد، خاصة على الأفراد في مراكز صنع القرار.

كما أن الصورة وعلى أقل تقدير، يمكن ان تجعل من الجزائري مقبولا لدى الآخر، بما يحمله من قيم حضارية، فضلا عن إمكانية الاستثمار في ذلك على المدنيين المتوسط والبعيد، من خلال تقديم صورة جيدة قد تسهم في إقبال الآخر على المستويات كافة نحو الجزائر، كمجتمع، كفرد، كبلد، له صورته المشرقة، وهذا الأمر يمكن أن يؤسس لمرحلة جديدة، قد تشكل تربة خصبة للانطلاق منها لقضايا أكبر وأعظم.

خلاصة:

من خلال ما سبق يمكن القول أن للأحداث الخاصة دورا أساسيا، في صناعة وتشكيل الصورة الذهنية عن مجتمع ما، ويبدو واضحا وجليا أن المسيرات السلمية الجزائرية ساهمت بشكل فعال في ترويج صورة جيدة عن المجتمع الجزائري، ووعيه وصورته الحضارية، ويمكن أن تدعم هذه الصورة بشكل أفضل في المستقبل اذا تم تعزيزها اكثر، والبعد بشكل مطلق عن الصورة السلبية التي لازمت المجتمع الجزائري طليعة عقود من الزمن بسبب فترة العشرية الأخيرة من القرن الماضي، وما عاش خلالها المجتمع الجزائري من مآسي، وهذه الصورة اليوم لاشك في أن الإعلام بشتى وسائله التقليدية والحديثة، ساهم في رسمها وبنائها، ويمكن أن

يشكل هذا الجهد المتواضع .انطلاقة من اجل التأسيس لدراسات أكثر عمقا حول الصورة الذهنية للجزائر كأمة ومجتمع، واهم الآثار التي يمكن أن تنتج عنها .

قائمة المراجع:

1. ال تويم ،عبد الله بن محمد.(2019). الصورة الذهنية. تم تصفح المقال بتاريخ:25-10-2019 على الرابط التالي:
https://bit.ly/2uVHO45
2. الرياحي، ايمان.(15-03-2019). نعوم تشومسكي: الحرية والديمقراطية والعدالة للشعب الجزائري. تم تصفح المقال بتاريخ:26-10-2019 على الرابط التالي:
https://bit.ly/2THmt60
3. المديني ،ت.(2011).سقوط الدولة البوليسية في تونس .لبنان :الدار العربية للعلوم ناشرون.
4. خضور، أ.(2009) .صورة العرب في الاعلام الغربي. سوريا: المكتبة الإعلامية.
5. رواية ، أحمد.(25-03-2019) .كيف دفع المحتجون عبد العزيز بوتفليقة الى استقالة مؤجلة. تم تصفح المقال بتاريخ:25-10-2019 على الرابط التالي:
https://bbc.in/3cy5753
6. سليمان،ص.(2005).وسائل الاعلام وصناعة الصورة الذهنية .الكويت :مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
7. سليمان،م.(2000).صورة العرب في عقول الأمريكيين. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
8. سيب، ف .ت .عبد المولى .ع.(2011).تأثير الجزيرة. لبنان :الدار العربية للعلوم ناشرون.
9. صليبا، ج.(1994). المعجم الفلسفي .لبنان :الشركة العالمية للكتاب.
10. عبد الفتاح، م. م.(2013).صورة العرب في الفضائيات الإخبارية الأجنبية. مصر: دار العالم العربي.
11. عجوة، ع.(1999) .العلاقات العامة والصورة الذهنية. مصر .عالم الكتب.
12. علي،طارق.(2019). صناعة الصورة الذهنية في وسائل الاعلام. تم تصفح المقال بتاريخ:25-10-2019 عل الرابط التالي:
https://bit.ly/2IjvrSn
13. مسلم، س.(1985).صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية .لبنان :مركز دراسات الوحدة العربية.
14. هوتر،ج.ت.عادل،ع.(2014).سلطة الصورة الذهنية .مصر :عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
15. la Dessertation.Note de recherches. (15-06-2015). L'importance d'image.
تم تصفح المقال بتاريخ:26-10-2019 على الرابط التالي:
https://bit.ly/2wuGCVW
16.PEARSON.STEPHEN, M.K.(23-04-2013). Frontières in psychology-25
تم تصفح المقال بتاريخ:10-2019 على الرابطhttps :bit.ly/39BCC4J